من اليشوف* اليهودي في فلسطين خلال فترة الهجرة الثانية (١٩٠٤ ــ ١٩١٤)، ومن النشاط الاستيطاني، الذي كانت تلك الفترة أهم وأخطر مراحله.

ودراسة هذا النموذج من كتابات عجنون، تتيح لنا تكوين خلفية تاريخية وأدبية عن وضع الإستيطان الصهيوني، في فلسطين في فترة الهجرة الثانية؛ وهي فترة عاشها عجنون وتأثّر بها، وانعكست أحداثها ومشاكلها عليه، فعبَّر عنها في هذا النموذج الأدبي. وتجيب بالتالي على التساؤل عن مدى استحقاق عجنون لجائزة نوبل في الآداب؛ وهل قدَّم أدبه خدمات جُلى للإنسانية لكي يُمنح هذه الجائزة؟

تتكوّن رواية «الأمس الأول» من ٦١٢ صفحة من القطع المتوسط، صدرت سنة ١٩٤٥ عن دار شوكين للنشر. وتشتمل على استهلال واربعة أجزاء. وهي تعرض للإستيطان اليهودي الصهيوني في فلسطين، في فترة الهجرة الثانية (١٩٠٤ ــ ١٩١٤) التي كان شموئيل يوسف عجنون في عداد من جاؤوا في إطارها.

ويتناول الاستهلال حياة بطل الرواية اسحق كومار في بلدته في غاليتسيا، وهي مقاطعة تقع في أقصى الجنوب من بولندا، التي كانت جزءاً من الامبراطورية النمساوية ــ الهنغارية، في الفترة التي دارت فيها أحداث الرواية، وتحديداً في الفترة التي يؤرِّخ بها لموجة الهجرة الثانية إلى فلسطين ١٩٠٤ ــ ١٩١٣. ثم عزمه على الهجرة إلى فلسطين وقصة سفره، حتى وصوله إليها «لكي يبنيها ويبني نفسه فيها» (ص ٧).

أما الأجزاء الأربعة، فإن محورها الرئيسي هو فكرة الإستيطان اليهودي الصهيوني في فلسطين ومشاكله؛ حيث يعرض الكاتب لوضع الإستيطان والمستوطنين، والمستوطنات، من خلال سرد لكل ما واجهه بطل الرواية اسحق كومار، من مشاكل وعقبات، منتقداً كل من تسبّب في ظهورها وداعياً إلى تجسيد فكرة الإستيطان الصهيوني، بمضمون ديني يهودي، والقول عن طريق الرمزية: إن كل من يبتعد عن تنفيذ مهمة الإستيطان على أرض الواقع، وينحرف عن تعاليم اليهودية، ستكون نهايته مأساوية. ويتمثّل ذلك بوضوح في النهاية التي آل إليها مصير اسحق كومار، الذي لم يصمد في مواجهة تلك المشاكل والعقبات، بل تخلى عن المهمة التي هاجر من أجل تحقيقها، وهي مهمة الإستيطان، ولذلك فإنه مات نتيجة عضّة كلب مسعور، تسبّب هو نفسه في جعله كذلك، وهذا انعكاس لشخصية البطل نفسه، وقد أطلق عليه إسم «بالاك»**.

وسنعرض هنا لفكرة الإستيطان التي نصَّب عجنون نفسه داعية لها، ولنظرته إلى

---

* اليشوف: كلمة عبرية تعني «مستوطنة» أو «إستيطان»، وكانت تطلق مجازاً، على المستوطنين الصهيونيين بأسرهم في فلسطين، قبل قيام إسرائيل، أيام الإنتداب البريطاني، وعلى كافة مؤسساتهم وتنظيماتهم.

** بالاك: إسم ملك موآب بالاك بن صفور، وله دلالته في الرواية، ذلك أنه عندما كان اليهود تائهين في الصحراء ووصلوا إلى حدوده طلب من بلعام، أن يلعنهم لكن النقمة انقلبت إلى نعمة، كما جاء ذلك في العهد القديم، من سفر العديد، من الإصحاحين ٢٢ و ٢٣.